قراءة في مجزرتي «كيمبي و بنقاسو» في إفريقيا الوسطى.. تقرير ميداني

د. محمد البشير أحمد موسى

باحث في الدراسات الإفريقية والقانونية - تشاد

تتوالى الأحداث بين الفينة والأخرى في إفريقيا الوسطى ما بين قتلٍ وتشريدٍ للمسلمين، في عددٍ من المدن الرئيسية، وبخاصّة الواقعة في المنطقة المحاذية لدولة الكونغو الديمقراطية، التي تتمركز بها ميليشيات «أنتي بالاكا»، حيث سهولة التنقل وسهولة الدّعم من خلال بعض دول الجوار، وبخاصة دولة جنوب السودان، وحيث السلاح المتدفق بغزارة في هذه المنطقة.

دور شركات الألماس والسلاح في الاحتراب الأهلي:

بدأت الأحداث بعد هدوءٍ نسبيّ بفوز الرئيس الحالي «فوستين توادیرا»، لكن محاولاته الجادة لإيجاد «حكومة وفاق وطني»، تشارك فيها معظم القوى المؤثرة، سواء المسلحة أو المدنية، تعترضها بعض المساومات من شركات الألماس الدولية، وشركات السلاح، التي ترى مصلحتها الدائمة في ديمومة الصراع، حتى تتمكن من السيطرة على مزيدٍ من حقول الألماس والذهب، وخصوصاً في منطقة «بنقاسو» والمناطق الوسطى

من البلاد، وتحديداً مدينة «بامباري» التي لم تهدأ بسبب الاحتراب الأهلي فيها منذ بداية الأحداث في ديسمبر ٢٠١٢م، وذلك لقلّة الوجود الحكومي بها، فما كان من هذه الشركات العابرة للقارات إلا الدفع نحو المزيد من الاحتراب الأهلي، لكي يسهّل لها عمليات النهب، وهي شركاتٌ تعمل تحت رايات دولٍ مختلفة، ويقف خلفها بعض المسؤولين في دولٍ أوروبية وإفريقية[1].

ولعلّ الخريطة الآتية تبيّن أماكن وجود الألماس، وغيره من المعادن الثمينة، التي تسبّبت في الاحتراب الأهلي في هذه الدولة الفقيرة في إمكانياتها، الغنية بثرواتها:

المصدر: https://wikileaks.org/car-mining/html/CAR-Tectonic-Mapping-1995/CAR-Tectonic-Mapping-1995_web.jpg

وحسب وثائق «وكيليكس»؛ تبيّن القائمة الآتية أهمّ الشركات التي تنهب هذه الثروات، وتساهم في إطالة أمد الأزمة، وهذه الوثيقة واحدة من الوثائق الكثيرة التي وقّعتها حكومة «بوزيزي» التي أطاح بها ثوار «حركة سيلكا»، والتي تمّ حجب دور بعضٍ منها بعد تسلّمها السلطة، وما تزال هذه الشركات تنشط، ولكن بطريقة غير شرعية:

مجزرة قرية كيمبي:

حدثت هذه المجزرة في ١٠ أكتوبر/٢٠١٧م، وراح ضحيتها قرابة (٢٦) مسلماً، وتم إعدام إمام المسجد ونائبه، وجُرح أكثر من (٤٠) شخصاً في أثناء صلاة الجمعة بالمسجد الكبير بمدينة «كيمبي»- جنوب شرق إفريقيا الوسطى.

كما وقعت في اليوم التالي مناوشاتٌ في قرية «بومبولو»، على بُعد ٣٥كم من مدينة «كيمبي»، بين «أنتي بالاكا» و «حركة سيلكا»، أدّى إلى مقتل عددٍ من عناصر ميليشيا «أنتي بالاكا»، وإصابة عددٍ من المسلمين في هذه الحادثة، وتُعدّ مجزرة قرية «كيمبي» واحدة من المجازر الممتدة في عددٍ من مدن الجنوب الشرقي من إفريقيا الوسطى.

الأمم المتحدة ودورها المخزي في إفريقيا الوسطى:

وقعت هذه الأحداث بدءاً من مدينة «بنقاسو»، مروراً ببعض القرى، وبخاصة قرية «كيمبي»، تحت مراقبة القوات الدولية والإقليمية بقيادة الجيش الفرنسي، ولم تشفع عندهم استغاثات الأهالي والضحايا، بل امتد دَوْر الأمم المتحدة إلى التورط في «قضايا أخلاقية»، وتحوّل بعض عناصر هذه القوات إلى «مسوّقين ومساهمين» في تجارة الألماس والمخدرات في مناطق المسلمين، يجري تغطيتها بخطاباتٍ رنانة، بين الفينة والأخرى، من بعض المسؤولين الأمميين، للتنديد ببعضٍ من هذه المجازر والأوضاع، مع تجنّب- واضحٍ- منهم لوصف الميليشيات التي ترتكب هذه المجازر بـ«الإرهابية»، وإنما توصف دائماً بـ«الإجرامية»!

(١) انظر: التقرير الخاص عن: الفساد في دولة إفريقيا الوسطى في أثناء حكم الرئيس بوزيزي، ومآلات هذا الفساد الذي تسبب في الحرب الأهلية، والدول المشاركة في هذه الحرب، وبخاصّة القوى الغربية المتحكمة في مصير إفريقيا الوسطى، بالإضافة إلى الكنيسة الكاثوليكية التي تُعدّ واحدة من المؤسسات الدولية التي نشطت في مجال النهب بطريقة مقنّنة تحت ذريعة التدّين، وهذه الوثائق تبيّن الكثير ممّا خفي عن الحرب الدائرة اليوم في إفريقيا الوسطى، انظر: The New Dirty War for Africa›s uranium and mineral rights https://wikileaks.org/car-mining في ٢٠١٦/٠٢/٢٥م:

فـ«أنتي بالاكا» يصفونها بأنها ميليشيا «إجرامية» وليست «إرهابية»، ولم توضع حتى الآن، لا في الأمم المتحدة، ولا في غيرها من المنظمات والمؤسّسات الدولية، على قائمة «الإرهاب»!، بالرغم من أن ما تقوم به هذه الميليشيا من مجازر فاق كلّ أنواع الترهيب والإجرام!

وهذا «ستيفن أوبراين»، وكيل الأمين العام للشؤون الإنسانية، يقول في إحدى حواراته: «إنّ ما يقرب من ١٨٠ ألف شخص أُجبروا على ترك منازلهم هذا العام ٢٠١٧م، ما يجعل العدد الإجمالي للنازحين في إفريقيا الوسطى يصل إلى أكثر من مليون نازح»، وأكد أنه: «علينا أن نتحرك الآن، لا أن نخفّف جهود الأمم المتحدة، وأن نصلّي كي لا نندم على ذلك في حياتنا»!

وقال: إنه حان الوقت للسماح بزيادة أفراد قوة الأمم المتحدة في إفريقيا الوسطى (مينوسكا) MINUSCA؛ لتتمكن من «تنفيذ مهمتها».

وأضاف أوبراين: أنه أصيب «بالهلع» خلال زيارته إلى كنيسة كاثوليكية في بلدة «بنقاسو» الجنوبية، حيث لجأ ألفا مسلم (٢٠٠٠)، يحيط بهم مقاتلو «أنتي بالاكا» الذين يهدّدون بقتلهم، حيث ذكر الأحداث.. لكن دون خطوات عملية لحماية هؤلاء المسلمين!

فإصابته «بالهلع» فقط، دون اتخاذ أية خطوات حقيقية لوقف هذه الدماء التي تُراق في الجانبين، وخصوصاً في المسلمين العُزّل في قرى ومدنٍ نائية، هو الذي أدّى إلى تلك النتائج المأساوية التي ذكرها في عرضه السابق!

وإذا كانت سياسة تفريغ العاصمة (بانقي) من المسلمين قد باءت بالفشل؛ فليس أمام القوى الغربية، وتحديداً الكنيسة الكاثوليكية، سوى تفريغ المدن الواقعة في الجنوب من الوجود الإسلامي، سواء كان متمثلاً في المظاهر العامّة كالمساجد، أو غيرها من المظاهر الإسلامية، لكي تكون العاصمة (بانقي) حدّاً فاصلاً بين الشمال «المسلم» والجنوب «غير المسلم» ذي الكثافة النصرانية، فهل ستتمكن القوى الغربية من تحقيق أهدافها؟.. الأيام القادمة حبلى بالكثير والمتغيّرات المختلفة، وخصوصاً بعد الأزمات التي تمرّ بها بعض دول الجوار، والتي كان بعضها سبباً في إطالة أمد الأزمة.

وفي يوم الثلاثاء ٢٤ أكتوبر، الذي يصادف اليوم العالمي للأمم المتحدة، زار الأمين العام للأمم المتحدة «أنطونيو غوتيريس» إفريقيا الوسطى، في زيارة أخرى من زياراته «البرتوكولية» لهذه الدولة، حيث قام بتكريم عددٍ من الجنود الذين سقطوا قتلى على يد الميليشيا الإرهابية «أنتي بالاكا»، ولم يأت الأمين العام بجديدٍ سوى النغمة المعتادة: «الدعوة إلى السلم والحوار»، بالإضافة إلى الشعار الرنان: بضرورة محاسبة «الجنود المتورطين» في جرائم واعتداءات جنسية، ولم يتخذ خطوات عملية بوضع ميليشيا «أنتي بالاكا» والداعمين لها على القائمة السوداء؛ حتى تتوقف عن جرائمها المتكررة التي تعدّت المسلمين إلى الجنود المسلمين في الأمم المتحدة من المغرب، ومن غير المسلمين كذلك من الدول المشاركة في القوة الدولية في إفريقيا الوسطى (مينوسكا).

وبعدها.. أخذ الصور التذكارية الإعلامية للدعاية واستجلاب العطف؛ ثم غادر دون اتخاذ أية خطوات عملية لوقف الدماء التي تُراق كلّ يوم في هذه الدولة المنكوبة[١].

(١) انظر: http://www.unmultimedia.org/arabic/radio/archives/266914/index.html#.Wf7WD9QrJkg

جدول يبين حالات القتل في إفريقيا الوسطى خلال الفترة: (١/١-٢٠١٧/١١/٥م):

م	اليوم / التاريخ	منطقة الاستهداف	الجهة المستهدَفة	عدد القتلى	ملاحظات
١	الثلاثاء: ٢٠١٧/١/٥م	مدينة أويو - شمال شرق العاصمة	القوات الدولية - القوة المغربية.	مقتل: عسكريَّيْن من الكتيبة المغربية؛ أحدهما برتبة ضابط.	ضابط مغربي + جندي من البنغال.
٢	الثلاثاء: ٢٠١٧/٢/٤م	مدينة بوكارانغا	المدنيون في هذه المدينة.	لم يُحدد العدد.	مقتل ٨٠ شخصاً في مدينة بريا في ٢٠١٦/١٢/٦م، وتواصل القتل حتى تاريخ سبتمبر ٢٠١٧م.
٣	الأحد: ٢٠١٧/٢/٩م	اقتحام ميليشيات أنتي بالاكا لمستشفى مجاور لحي بي كا٥- بالعاصمة بانغي	المرضى المسلمون في المستشفى.	مقتل (٣)، وجرح (٢٦) مريضاً.	يعدّ هذا الحي من الأحياء التي تمّ تهجير المسلمين منها قسراً؛ إلى حي كيلو خمسة بالعاصمة عند اندلاع الأزمة.
٤	الجمعة: ٢٠١٧/٢/١٤م	مدينة بامباري -بالجنوب الشرقي	اقتتال داخلي بين المسلمين.	مقتل عدد غير محدّد من المدنيين، ومن الطرفين.	صراع قبلي بين المسلمين لفرض الهيمنة والسلطة على المدينة ومصادر المال، وبخاصة الألماس، حيث نشب الصراع بين (الجبهة الشعبية لنهضة جمهورية إفريقيا الوسطى)، ومنافستها المعروفة باسم: (الحركة من أجل الوحدة والسلام في جمهورية إفريقيا الوسطى).
٥	الاثنين: ٢٠١٧/٢/١٧م	مدينة باكالا	المدنيون المسلمون في هذه المدينة.	إعدام ٥٤ مدنياً.	

٦	الثلاثاء: ٢٠١٧/٢/٢٣م	مدينة إيبي- محافظة واكا	كمين لدورية من دوريات الأمم المتحدة.	إصابات حرجة وسط جنود المنظمة الدولية.	صراع بين القوات الدولية وفصيل من فصائل «حركة سيلكا» التي رفضت تسليم سلاحها.
٧	الأربعاء: ٢٠١٧/٥/١٠م	مدينة بنقاسو - الحدود الجنوبية	القوات الدولية (مينوسكا).	إصابة ثمانية من الكتيبة: (١) كمبودي و(٧) من المغاربة.	كما فقد (٤) من هذه القوات، ووُجدوا لاحقاً ضمن القتلى، استهداف من ميليشيا «أنتي بالاكا».
٨	الخميس: ٢٠١٧/٥/١١م	مدينة بنقاسو - الحدود الجنوبية	القوات الدولية (مينوسكا).	العثور على جثة الجندي المغربي المفقود في مناوشات سابقة مع «أنتي بالاكا».	هذا واحد من ضمن الأربعة المفقودين.
٩	السبت: ٢٠١٧/٥/١٣م	مدينة بنقاسو - الحدود الجنوبية منطقة توكوبو	القوات الدولية (مينوسكا).	هجوم على المقر + مقتل عدد من المدنيين.	ميليشيا «أنتي بالاكا» تكثف من هجماتها على هذه المنطقة لتشريد المسلمين، ولكي يتم ذلك بطريقة عاجلة كانت الهجمات متوالية على القوات الدولية في هذه المدينة، وقد قُتل أعداداً كبيرة من المسلمين في هذه الاعتداءات، التي امتدت ليومين كاملين (الجمعة والسبت)، مما أسفر عن لجوء بعض المسلمين إلى الكنائس للاحتماء، وتعد من الجرائم المشهودة في هذا العام تحت أعين المنظمات الدولية التي لم تحرك ساكناً، وإنما أصدرت فقط بيانات تنديد لا غير..!
١٠	الجمعة: ٢٠١٧/٥/١٩م	مدينة بريا	المدنيون المسلمون.	مقتل أكثر من (٤٠) قتيلاً مسلماً، و(٣٠) جريحاً، ونزوح (١٥٠) مسلماً إلى خارج المدينة، بالإضافة إلى الكنيسة الرئيسة في المدينة، وتدمير (٣) من أقدم المساجد في المدينة.	في الاشتباكات التي دارت بين «أنتي بالاكا» و «حركة سيلكا» في هذه المدينة، والتي امتدت لأكثر من ٤ أيام متتالية.

١١	الثلاثاء: ٢٠١٧/٥/٢١م	مدينة بريا	المدنيون المسلمون.	مقتل أكثر من (١٠٠) مسلم، ونزوح قرابة ٨٥٪ من سكان هذه المدينة، تُعدّ هذه المقتلة من المقاتل المشهودة في هذه المدينة.	ضمن الاشتباكات المتواصلة بين «أنتي بالاكا» و «حركة سيلكا» في هذه المدينة. ومقتل عدد من الجنود من الجانبين.
١٢	الثلاثاء: ٢٠١٧/٧/١م	مدن: بريا، «كاغا بندارو»، زيمبو	المدنيون المسلمون.	مقتل قرابة (١٣٦) شخصاً، وجرح أكثر من (٤٠) في هذه المدن.	تم إحراق المحلات التجارية للمسلمين في هذه المدن، وحرق المساجد، وتهجير أكثر من ألف شخص من هذه المدن، ولجوء حوالي (٦٠٠) شخص إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية.
١٣	الخميس: ٢٠١٧/٧/٣م	مدينة«كاغا بندارو»- الشمال الشرقي	المدنيون المسلمون.	مقتل قرابة (٢٠) شخصاً، وجرح عدد منهم.	وهناك قتلى من الطرفين: «أنتي بالاكا» و «حركة سيلكا»، حوالي ١٥ قتيلاً من الجانبين.
١٤	الاثنين: ٢٠١٧/٧/٢٤م	مدينة بنقاسو	القوات الدولية (مينوسكا).	مقتل جندي مغربي، وإصابة ٣ آخرين.	
١٥	الأربعاء: ٢٠١٧/٧/٢٦م	مدينة بنقاسو - الجنوبي الشرقي	القوات الدولية (مينوسكا).	مقتل (٢) جنديين مغربيين، وإصابة عدد من الكتيبة المغربية في هذه المدينة.	استهداف مباشر ومتواصل للجنود المغاربة من قبل ميليشيات «أنتي بالاكا».
١٦	السبت: ٢٠١٧/٨/٢٦م	مدينة بريا	المدنيون المسلمون.	مقتل أكثر من (٣٠) مسلماً.	تجدد الاشتباكات في هذه المدينة المنكوبة.
١٧	الجمعة: ٢٠١٧/١٠/١٣م	مدينة كيمبي - على الحدود مع الكونغو	المصلون في صلاة الجمعة.	مقتل (٢٦) مسلماً وإعدام الإمام ونائبه.	المجزرة المشهورة في مدينة كيمبي، اقتحام مباشر من «أنتي بالاكا» وقتل هذا العدد، وجرح آخرين.
إجمالي القتلى في هذه الفترة			القوات الدولية	(٩) قتلى، جلّهم من المغاربة، وإصابة عدد من هذه القوات	
			المدنيون من المسلمين	(٦٠٠) قتيل مسلم خلال هذه الفترة	
إجمالي القتلى من ٢٠١٧/١١/٥-١/١م				(٦٠٩) ستمائة وتسعة قتلى خلال هذه الفترة	

المصدر: من إعداد الكاتب؛ اعتماداً على زيارات وشهادات وتقارير ميدانية.

مآلات الأزمة والحلول المتوقعة:

مع تكشّف كثيرٍ من الأوراق التي أسهمت في زعزعة الاستقرار في هذه الدولة، وتراجع بعض القوى والدول عن القيام بدورها السابق نتيجة أزمات داخلية تمرّ بها بعض هذه الدول، فإنّ جهود الحكومة لو تضامنت معها جهودٌ دولية صادقة؛ لاستطاعت أن توقف هذا النهب المقنّن، ومن ثمّ: لَتوقفت هذه الحروب المفتعلة- بين الفترة والأخرى- في عددٍ من القرى والمدن الغنية بالألماس والذهب، ولَعادَ الاستقرار إلى ربوع البلاد، ولعلّ زيارة رئيس إفريقيا الوسطى لعددٍ من الدول في آسيا، وطلب العون والدّعم والشراكة في بعض المشروعات الحيوية، تكون كفيلة باستتباب الأمن- ولو جزئيّاً- في المناطق المتوترة.

في زيارة ميدانية قمتُ بها لبعض الأحياء المدمّرة في العاصمة (بانقي)، في أغسطس الماضي ٢٠١٧م، تبيّن لي- بشكلٍ أساسي- أنّ الكلّ يبحث عن السلام، وبخاصّة الشعب المسيحي المغلوب على أمره، والذي يُسترزق باسمه في المحافل الدولية، حيث عانوا معاناةً لا تقلّ عن معاناة المسلمين، بل إنَّ بعض الأحياء من مناطقهم اجتاحتها المجاعة بسبب عدم تدفق السلع والمواد الغذائية الأساسية؛ بسبب هجرة التجار المسلمين وتدمير محلاتهم التجارية، وعلى هذا الأساس عيّنت الحكومة وزيراً للتجارة من المسلمين؛ علّه يساهم في إعادة هؤلاء التجار، وإنعاش الحركة التجارية التي تدهورت بشكلٍ كبير، وأثّرت في الوضع الإنساني بالعاصمة، ناهيك عن المناطق الأخرى.

شركات الألماس الدولية، وشركات السلاح، ترى مصلحتها الدائمة في ديمومة الصراع

لذا؛ فإنّ الدعوات المريبة إلى مؤتمرات السلام والسّلم الاجتماعي، التي تُقام بين وقتٍ وآخر هنا وهناك من قبل النصارى، وبخاصّة الكنيسة الكاثوليكية، ترجع لشعور الكنيسة والجهات الداعمة لها بأنّ الحقائق على أرض الواقع بيّنت أنَّ المسلمين هم الفئة المضطهدة التي عانت من هذه الحرب، وأنّ الملفات السرّية لهذه الحرب القذرة بدأت تظهر للعلن، كما أنّ غالبية اللاجئين في دول الجوار من المسلمين تعدّ دليلاً آخر على اضطهاد المسلمين؛ بعكس الادعاءات التي رفعتها بعض المنظمات التنصيرية، مثل «Save the Children»، ومجلس الكنائس العالمي، وبابا الفاتيكان في تصريحاته في بدايات الأزمة، حيث زعموا أنّ المسلمين اضطهدوا النصارى في إفريقيا الوسطى.

وكذلك؛ فإنَّه بعد إخفاق المشروع الكنسي بتفريغ إفريقيا الوسطى من المسلمين، بعد مرور خمسة أعوام على بداية الأزمة، أدرك مجلس الكنائس المحلّي أنه كان ضحيةً لوعود غربية لم يف الغرب بها كثيراً، فقد أصبحت شوكة المسلمين اليوم أكثر قوةً من

السابق، يتمثّل ذلك في وجود عددٍ كبير من المسلمين في عضوية البرلمان الانتقالي الحالي، وكذلك في الوزراء والضباط وغيرهم من الموظفين الأساسيّين في القطاعات الحكومية المختلفة، بل ارتفع سقف مشاركة المسلمين في السلطة إلى مدًى ما كان يتحقق بعد فضل الله- عزّ وجل- إلا بتضحيات المسلمين وثباتهم، بعد إراقة الدماء والمعاناة التي تعرضوا لها، كما أنَّ القوى الغربية، وتحديداً فرنسا، بدأت تنادي الآن بأنّ المسلمين مكوّنٌ أصيل للمجتمع الأفروسطي، بعد أن كانت بعض هذه القوى تدّعي بأنّ المسلمين عناصر وافدة من دول الجوار!

إذاً؛ فإنّ المستقبل أمام المسلمين اليوم لو توافرت شروطٌ معينة، ومن أهمها: الوحدة، والقضاء على الانقسام الداخلي وسط المسلمين ■